العربية والتعريب

[عاد المجمع اللغوي المصري الى الاجتماع بعد غيبة طويلة وسيعالج مسألة التعريب كما عالجها في جلساته السابقة. وكما يعالجها المجمع العلمي العربي في دمشق فرأينا ان ننشر جانباً من خطبة نفيسة خطبها الثابتة المرحوم احمد فتحي زغلول باشا شقيق الزعيم الكبير صاحب الدولة سعد زغلول باشا القاها في نادي دار العلوم سنة ١٩٠٨ ونشرت كلها في مقتطف ابريل تلك السنة. قال بعد مقدمة فلسفية مسهبة ما نصهُ:]

سمعت في الاجتماعين الماضيين كلاماً كثيراً في اللغات الاجنبية وان لها اصلاً او اصولاً ترجع اليها وتستمد روح التجدد منها فاعلها في جل ما يفعلون واما نحن فلا اصل للغتنا وبنون على هذه المقدمة نتيجة هي انهُ يجب علينا ان لا نعرب كلمة اعجمية لنضيفها الى لغتنا العربية

الحق اني ما فهمت النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني انظر الى اللغة اللاتينية التي هي اصل لغات امم اوربا المعروفة بهذا الاسم من فرنساوية وتليانية واسبانية وغيرها فاجدها لغات ممتازة تماماً عن ذلك الاصل بل اجد الفرنساوي من حيث هو لا يعرف كلمة واحدة من اصل لغتهِ وكذلك بقية من ذكرنا واري ان كل لغة حية هي لغة مستقلة قائمة بنفسها لها قواعد خاصة بها وتراكيب وصيغ تميزها عن اصلها تماماً فاذا استعاروا لمحدث جديد اسماً من ذلك الاصل فانما هم يستعيرونهُ من لغة اعجمية بالنظر الى لغتهم. الا ترون انهم لا يقصرون الاستعارة على اللغة اللاتينية بل يتعدونها الى اليونانية القديمة واحياناً يستعيرون كلمتين من كل لغة كلمة ويخترعونهما ويصطلحونهما ويدمجون هذا المزيج في لغتهم فيصير جزءاً منها ويضعون لهُ في كتب اللغة محلاً بين كلمتين اصليتين بحسب ترتيب حروفهِ الابجدية

انهم يعلمون اكثر من هذا وان لكل بلد عادات في اكلها وسكناها ولباسها واطوارها ويتبع ذلك وجود اسماء عند قوم لمسميات لا يعرفها قوم آخرون الآن التجارة وطرق المواصلات تنقل هذه المسميات او تجعلها تشاهد في اماكنها من النازحين اليها فيرى اهل البلد ما يروقهم من بعض تلك الخصوصيات لاهل البلد الآخر ولا يجدون من لغتهم تعبيراً على التعبير عنهُ تماماً لكنهم لا يختارون ولا يقصدون الاجتماع تلو الاجتماع ولا يفترقون شيئاً واحداً بل يقدمون على تناول المسمى واسمهِ و يدرجون عليهِ من ساعتهم

فيمتزج بلغتهم و يعرفهُ الكل و يتحرّون في حديثهم ان يلفظوهُ كأنهم في نطقهم بهِ من اهلهِ . والامثلة على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم فترى الحكيم الفرنساوي وهو يقرر مذهبهُ عند ما يأتي على ما يخالفهُ من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم ينكر ان يعبر عنهُ بغير لفظهِ الالماني وهكذا ثم يذكر بهامش كتابهِ معناهُ

ما كان هذا ليفيد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الحنان والاشفاق عليها بل ما ازدادت لناتهم بهذا الاَّ طلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عادة لتكون الالفاظ الغريبة عن لغتهم برهاناً على سعة مدارکهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر المسمى ومذكرة مجزئة من ترجمتهِ

قالوا ان ذلك جائز عندهم لتماثل احرف هجائهم واتحاد صورها واشكالها واما نحن فلا نعمل انا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست ارى في هذا الاعتراض الاَّ انهُ دليل احد امرين فاما شعور بعجزنا عن المجاراة لفتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي ايضاً الى الاصلاح لتتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجعلنا ننطق بكلماتهم كما ينطقون وننقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن إما عرب او مستعربون وإما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما نقتضيهِ مصلحتنا . وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة و بكونها ورثناها عنهم بعد ان بادوا فليس من لهُ ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فمن لهُ ان يسيطر علينا ويجرمنا ثمرة الكد في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم و يحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان

اخذ العرب العلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوهُ واخضعوا الغريب عنها لاحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسينا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والانزواء على انهم في عزهم و بُعد تخارهم وتمكنهم من انفسهم

لم يمتزوا بلغتهم فنفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيناً للفتهم وحذراً من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيه وخوفاً من ان يعيقهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تعاصرهم. أيجوز لنا ان نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة انهم انقرضوا و بادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نخطو بعدهم خطوة الى الامام. لكن من الذي استأجرنا حراساً من الحرس على هذه الوديعة و باي قوة اخضعنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة واخلال التزامم؟ انقصٌ في الافهام ام قصر في الاجسام ام جهل باتا من البشر لنا كل حقوق الانسان

ليس لنا ان نتمسك بالقديم لقدمه وان اصبح عديم الجدوى والاَّ فاولى بنا ان نكفَّ عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا عن الآباء لنعيش كما عاش الاولون. غير اني ارجوكم ان تتحلوا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابكم مصائب التقدم فتُركتم آخر القوم ولا تحزنوا اذا حصرتكم عوامل الرقي فبقيتم بين يقف متفرجاً عليكم وانتم كالصور المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانهُ وتنطق بلغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على السنة المتفرجين

جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربية وحسبوها طعاماً سهل التناول والهضم في معد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا لا نطيق اسماً اعجمياً يدخل عليها

ليست هي تلك اللغة الحافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول الفصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى عليه وسلم وهي لم تتأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها و يشد ازرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطمع الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابهُ المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلستم وحدكم في هذا الوجود ولا نقدم لكم الاَّ بلغتكم فاعتنوا بها واصلحوها وهيئوها لتكون آلة صالحة فيما تبتغون لكن لا تكثروا من الاشتقاق الخارج عن حد القياس المعقول. ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجمةُ تهددها على السنة العامة وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل الجارف سدًّا من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند الضرورة لتكونوا من الناجحين